المحاضرة الأربعون: أمثلة خارجية

أمثلة خارجية:

- الرمز يستخدم في مواقف اجتماعية مختلفة، لكنه يشير إلى المعنى نفسه مثلاً أرتداء اللون الأبيض يشير إلى الطهارة والنقاء والنظافة، ترتديه العروس في ليلة الزفاف، يرتديه الأطباء والممرضين، يرتديه المسلم أثناء الصلاة (مستحب جداً). هنا الرمز له معنى النقاء واستخداماته في مواقف اجتماعية مختلفة.
- الرمز يستخدم في مواقف اجتماعية مختلفة، لكنه يشير إلى معان مختلفة مثلاً رنة الجرس يشير في مواقف إلى ابتداء أو نهاية الدوام الرسمي، في موقف آخر يشير إلى أن هناك شخص قادم، أو لاستدعاء شخص آخر، أو التنبيه والاستيقاظ عند الصباح، التنبية إلى الخطر وهكذا، أو لبس الأسود في بعض المواقف يشير إلى الحزن ، وفي مواقف أخرى يشير لبس اللون الأسود إلى التألق والمجد والسؤدد في حفلات السهرة ويرافقه رموز أخرى.
- الرمز يستخدم في الوقت نفسه أو الشعيرة نفسها، لكنه يشير إلى أكثر من معنى. مثلاً شعيرة الصوم تعني كسر الشهوة والرغبات الإنسانية الأخرى، وتعني صوم الجوارح الإنسانية، وتعني العبادة لله، وكذلك استمرارية الإسلام وهكذا.

وخلاصة القول/ يمكن القول إعطاء نموذج عن الشعائر الحسينية وفقاً لمنهج تيرنر في الخطوة الأولى على الباحث الانثروبولوجي التعرف على الصورة الشكلية الظاهرية التي تكون عليها الشعيرة ورموزها من خلال

ملاحظتها. وفي الخطوة الثانية التعرف على معانيها وذلك من خلال مؤسسي تلك الشعائر ورموزها أو من زعمائها الذين يقودون الجماعة في أدائها. ومن خلال أيضاً الأفراد الذين يؤدونها. وفي خطوة ثالثة ملاحظة سلوك الأفراد أثناء تأديتهم للشعيرة، بمعنى ملاحظة سلوك الأفراد الفاعلين. وفي خطوة رابعة تجري عملية التحليل والتفسير وذلك بتوضيح العلاقات بين الرموز، بمعنى توضيح علاقة كل رمز بالرموز الأخرى ثم علاقتها بالنسق الاجتماعي الكلي من حيث علاقة تلك الشعائر بمتغيراتها كأن يكون لها متغيرات اجتماعية أو تاريخية أو سياسية أو دينية أو إسلامية لها علاقة بها بصورة مباشرة أو غير مباشرة. هذه الصورة تمكن الباحث ليس التعرف على الشعائر أو رموزها ومعانيها، بل تفسير للآخر علة بقائها واستمرارها بالرغم من مرور قرون عليها وقابليتها على الاستمرار أبد الآبدين. بوصفها تجسد أحداث تاريخية –إسلامية– تدافع عن قيم ومبادئ إسلامية راسخة لها أهميتها العقائدية والفكرية والعملية. أو أن شخوص أحداثها هم زعماء الإسلام وناشريه وحماته... الخ. من هنا تتجلى أهمية ربط النسق الرمزي الثقافي بالواقع الاجتماعي لا عزله.

وبالرجوع إلى تيرنر

وفي دراسة تربط بين الرموز والواقع الاجتماعي، يوضح تيرنر جوانب متعددة منها علاقة الأضداد، والصراع والتماسك بين أفراد المجتمع. وذاك ما يجري توضيحه، يشير إلى أنه يوجد في مجتمع ديمبو نوعين من الأخشاب المستخدمة في بناء الأساس الذي يشيد عليه البيت أو الكوخ. والأشجار التي يصنع منها هذين النوعين من الأخشاب لها دلالة رمزية، فالنوع الأول من الخشب هو خشب شجرة اللبن والنوع الثاني هو خشب شجرة الدم، وشجرة الدم

تعد رمز الرجل، الذي يتزوج بالفتاة التي تمر بشعيرة النضج. بينما شجرة اللبن فإنها ترمز إلى الزوجة أو الفتاة التي مرت بالفعل بتلك الشعيرة. ويذهب تيرنر في التعرف على مغزى ومعنى هذه الرموز المرتبطة بالأشجار. "طبقاً لتفسير أفراد مجتمع ديمبو أن هناك دم الذكور ودم الإناث وفي اتحادهما (اتحاد الأضداد) تكمن وحدة المجتمع. كما هو في صورة اتحاد ضدين متمايزين هما أخشاب شجرة الدم وأخشاب شجرة اللبن لتؤسس البيت، الكوخ (نواة المجتمع).

فضلاً عن ذلك يشير تيرنر إلى أن شجرة اللبن ترمز إلى جوانب اجتماعية متعددة مرتبطة بالتمايز والصراع بين أعضاء ذلك المجتمع. ففي شعيرة نضج الفتاة (التي تكون فيها شجرة اللبن رمزاً أساسياً). يوجد تقابل بين الأضداد النساء والرجال، بوصف النساء ينفصلن عن الرجال في أداء الشعيرة، بمعنى أن الرجال لا يشتركوا فيها، وفي جانب آخر أن شجرة اللبن تمثل الرابطة بين الأم والابنة بوصفها ترمز إلى الأنثى. لكن في أداء الشعيرة (شعيرة نضج الفتاة) تفصل الأبنة عن الأم، فضلاً عن أن الابنة وبعد مرورها بالشعيرة تفصل عن البنات الأخريات اللواتي لم يمرن بعد بشعيرة نضج الفتاة. فهنا نجد تقابل وانفصال بين الأضداد النساء والرجال. تقابل وانفصال بين جماعة النساء أنفسهن، إذ تنفصل الابنة عن الأم بعد مرورها بشعيرة النضج فضلاً عن انفصالها عن البنات اللواتي لم ينضجن بعد.

ويشير تيرنر أن الرابطة الرمزية بين شجرة الدم الرجل وشجرة اللبن المرأة تتبلور في الجانب الحسي الذي يشير إلى العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة ويتبلور أيضاً في الجانب الفكري- المعياري متمثلاً في فكرة الزواج الذي يوحد

الأضداد في وحدة واحدة ليجمعهم في بيت- كوخ واحد المتكون من وحدة الأضداد أيضاً أخشاب شجرة الدم مع أخشاب شجرة اللبن.

خلاصة القول/ هناك انفصال وانقسام ثم اتحاد وتماسك، فهناك اتحاد الأضداد، باتحاد أخشاب شجرة الدم مع أخشاب شجرة اللبن لتؤسس البيت، الكوخ.

ثم اتحاد الأضداد (شجرة الدم (الرجل) مع شجرة اللبن (المرأة)) ويجتمعون في الكوخ المهيء لهم. يتحدون بوجود علاقة جنسية تستند إلى العرف والتقاليد. وهناك انفصال وانقسام في شعيرة نضج الفتاة، إذ انفصال النساء عن الرجال فضلاً عن الانفصال بين الجنس نفسه (انفصال الابنة عن الأم). لتتحد الابنة التي أكملت الشعيرة وأصبحت ناضجة برجل وهكذا،

<u>أن أهمية الإسهام</u> الذي قدمه تيرنر يتمثل في اهتمامه بدراسة الرموز ومعانيها بمعنى العلاقة بين الرموز والمرموز إليه فضلاً عن علاقته بالرموز الأخرى وربطها بالمضمون الاجتماعي. وبهذا المفهوم استطاع تيرنر أن يتغلب على مشكلة الجوانب الصورية- الشكلية المجردة التي يعاني منها المنهج البنيوي. الذي يعتمد على مجرد العلاقات القائمة بين وحدات النسق.

فمن خلال الجمع بين المضمون الاجتماعي للرموز وبين العلاقة البنائية بين الرمز والمرموز إليه والرموز الأخرى قدم تيرنر بعداً جديداً لعملية الوصف والتفسير التي يقوم بها الانثروبولجي بالمقارنة مع الوصف والتفسير الذي يقدمه الإخباريون أو المواطنون.

وعلى عكس المدرسة البنائية- الوظيفية التقليدية (دوركايم، راد كليف براون). الذين يهتمون بالتضامن الاجتماعي ووحدة المجتمع، اهتم تيرنر بالواقع

وعدم التجانس أو اللإنباء وبعمليات التغير والانتقال والتحول وإن لم يغفل مفهوم التضامن ووحدة المجتمع.

ويعني تيرنر بمفهوم اللإنباء تلك المرحلة الانتقالية التي يتصف بها الأفراد عند انتقالهم من حالة إلى حالة أخرى betwix and between ، وضحنا سابقاً أن تيرنر استخدم نظرية فان جنب Van Gennep عن شعائر المرور التي تشمل الانفصال وشعائر الانتقال ثم شعائر الاتحاد، اهتم تيرنر بصفة خاصة بمرحلة الانتقال على أنها تمثل مرحلة تحويلية ينتقل فيها الأفراد ولاسيما الأطفال والمراهقين من حالة عدم النضج والاكتمال إلى حالة أخرى هي النضج. وفي المرحلة الانتقالية تستخدم الرموز والشعائر الرمزية لتحويل الأفراد غير محددي الأدوار إلى شخصيات لها أدوار ووظائف في المجتمع. مثلاً الأفراد الذين يمرون بالمرحلة الإنتقالية لا يتميزون بمكانة محددة واضحة وليس لديهم هوية أو يمتلكون شيئاً أو خاصية معينة. ملبس أو رتبة أو وضع قرابي يميزهم عن رفاقهم الذين يمرون بنفس المرحلة. وبالرغم من أن تيرنر يصف المرحلة الانتقالية أو الهامشية بوصفها مرحة لا بنائية، إلا أنه يذهب إلى أن هذه المرحلة تتميز بنوع معين من البناء الاجتماعي (بمعنى العلاقات الاجتماعية) تتمثل في العلاقة بين الصغار والكبار، إذ يخضع الصغار لسلطة الكبار (الأساتذة والآباء وأولياء الأمور وكل من له دور قيادي). لكن هناك مساواة تامة بين الأطفال أو الصغار بوصفهم يشتركون جميعاً في صفة عدم النضج، وما تقوم به الرموز بوصفها قوى اجتماعية هو تحويل الأفراد من هذه المرحلة الهامشية الانتقالية إلى مرحلة التكامل والنضج والتكيف مع المجتمع.